

«معرفة النفس»



عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) قال: "العارف مَن عرف نفسه فأعتقها ونزهاها عن كلِّ ما يبعدها".

وقال (ع): "أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه".

وقال (ع): "مَن عرفه نفسه تجرّد". أي تخلص من كلِّ علائق الدنيا وفتنها وأخلص □ تعالى وحده.

وقال (ع): "مَن عرف نفسه جاهدّها، ومن جهل نفسه أهملها". وقال (ع): "مَن لم يعرف نفسه بَعُدَ عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال الجهالات".

ووردت أحاديث كثيرة عن أهل البيت - عليهم السلام - تأمر بوجوب معرفة الإنسان لنفسه وتعتبر ذلك من أهم الأشياء التي تكون طريقاً لتمام العبودية □ تعالى والنجاة من التيه والضلال، وجاء التأكيد في القرآن الكريم واضحاً بوجوب معرفة الإنسان لنفسه وتدبر أمرها حتى ينتهي بذلك إلى ربه تعالى وقد روي عن الرسول (ص) قوله: "أعرفكم بنفسي أعرّفكم بربّي"، وقوله: "المعرفة بالنفس انفع المعرفتين".

ويعلق العلامة المرجوم السيد محمد حسين الطباطبائي في الميزان على هذه الرواية بقوله: "الظاهر أنّ المراد بالمعرفتين المعرفة بالآيات الأنفسية والمعرفة بالآيات الآفاقية، قال تعالى: (سَنُزِيلُ إِلَهُكُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ) حَتَّى يَتَذَكَّرَ لَهَا وَلَهُمْ أَنْزَلَهُ الْحَقُّ أَوَّلَ لَيْلٍ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ كُلِّ لَئِيْفٍ شَيْءٌ شَهِيدٌ) (فصلت/ 53). وقال تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات/ 20-21).

فتلخص مما ذكرنا أنّ النظر في الآيات الأنفسية والآفاقية ومعرفة الله سبحانه بها يهدي الإنسان إلى التمسك بالدين الحقّ والشريعة الإلهية من جهة تمثيل المعرفة المذكورة الحياة الإنسانية المؤبدة له عند ذلك، وتعلقها بالتوحيد والمعاد والنبوة.

وَعِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَكُمْ أَنْ تَفُتَّكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (المائدة/ 105).

"... إذا كانت الآية قدرت للمؤمنين طريقاً فيه اهتداؤهم ولغيرهم طريقاً من شأنه ضال سالكه، ثم أمر المؤمنين في قوله: (عَلَيْكُمْ أَنْزَفْسُكُمْ) بلزوم أنفسهم كان فيه دلالة على أن نفس المؤمن هو الطريق الذي يؤمر بسلوكه ولزومه فإن الحث على الطريق إنما يلائم الحث على لزومه والتحذير من تركه لا على لزوم سالك الطريق كما نشأه في مثل قوله تعالى: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ) (الأنعام/ 153).

"من عرف نفسه فقد عرف ربه". ►

المصدر: كتاب نظرات في تزكية النفس